مسرحية قصيرة

مخلوقات الزاي

رجاء عالم

تقديم :

(هي حكاية للعرض . . ويشترط لها مكان عامّ، على أن يتصدّر مقعدُ الراوي خالياً ـ أياماً ثلاثة ، يتم النداء خلالها أن :

«الراوي متخذ مجلسه في ثالثها ، ولمن شاء أن يشهد جلوسه لتوقيع صكّ ملكيته لحكاية «الزاي» ومخلوقاتها») .

فإذا اجتمع خلقٌ حضر الراوي وتابعاه ، يتقافز أولهما كالزرزور، بخطوه الخفيف ورائحته النتنة ، مظهراً في قفزه أطرافاً من نحاس خالص . أما الثاني فكزمّور ينساب كرمح في الحضور ليشق طريقاً لمقعد الراوي . أما الراوي فلا يكاد يبين :

تطاول لحيته أطرافه وإن كان جليّ الوجه قبيحه ، قصيراً أقرب ما يكون لغلام .

يتخذ التابعان المجلسين الأقرب للراوي ، ومن حولهما الشهود من الحضور، والحكّام . يصمّ الآذان فجأة قرع طسوت وصوانٍ . . رجال بثياب قليلة ، أقرب للعري يركضون بذعر بين الحضور ليتواروا بعيداً . . يشير الراوي فيُحضر تمثال الحكيمة «قرشت» محمولة على هودج . . وإذ يبين عنها الهودج تظهر في وشاح أسود وكساء أخضر ولوجهها برودة الرصاص . متّقدةً عيناها بنوايا وحشية . . أما أطرافها فتجتمع كالمكبّلة بحبال خفيّة . . وتطوف حولها أستار الهودج الذهبية فتوقع في نفس ناظرها الخشية والحسرة . . تُحمل لتُنصب قريباً من دائرة الراوي) .

الراوي : أنتم الآن سنة أربع وثلثمائة . . يوم وقعت حوادث «الزاي»

(على أستار الهودج بعد أن تُسدل لتشكّل شاشة عريضة ، تظهر صورة رجل بثياب فاخرة في شرفة وحوله الجواري ، وتعلو أصوات الطرب . . تتقدم الحكيمة قرشت من دائرة الجواري على الستار) .

قرشت : سيدي الحاجب الأكبر . . كيف لجارية حقيرة مثلي أن تشكر لكم ما قلّدتموها من مناصب؟

الحاجب الأكبر: (يربت على رأسها بزهو) ألم تري أن لسيدك نظراً ثاقباً في الأتباع ، وما كنت لأقرّب إلاّ أهلاً . . فهنيئاً لوصيفة كنوزنا ما كنزتْ .

قرشت : (مع الجواري) عاش حاجب أنهار كنوز الزاي الأكبر، والتي شاع ذكرها في الأمصار . .

الحاجب الأكبر: تمتّعوا بهباتنا ، واعلموا لخدمتنا ، كلٌ قد عَلِمْنا عطاءه . .

الراوي: (للحضور) ألا وإن أشرف كائنات الزاي الزبزب . . إذ تجتمع فيه زوجاً مطلِقَةً عقال قواها وأكملها . . وكما شاع ،كانت الزاي مدينة ذات غنى وخطر، لا يخمد لها ذكر، مجتلباً المريدين من كل حدب وصوب . . فكان أن هبطْتُها بعد طول لوعة . . (يركض الناس على الأستار بالثياب الغريبة وينفلتون بين الحضور فزعين) فقابلني العامّة بالفزع . . (يطوف الراوي بالحضور ناظراً وجوههم) نفس هذا الرعب المبْطَن دواخلكم . . (يروي) قابلني الزائيّون بالفزع ، ولم أجد بشراً منهم إلاّ حارساً . . والحرس خلف متاريس اصطنعوها من طسوت وصوانٍ يطرقونها (يظهر في جوانب المكان ووسط الحضور الحرس بالطسوت والمقارع) وكان صراخ الطسوت يزلزلني (القرع يصم الآذان ويخفت علىٰ شكل موجات تتعاقب) لكنني كابرت ، منضماً للحشد الذي احتشد . . (يظهر بجانب المكان حشد يجتمعون على رجل . . يظهرون على الشاشة . . يرفع أحدهم رسغ الرجل ، يفور بالدم ، وقد قطعت يده) .

الحشد: (فزعاً يتهامس) إنه الزبزب . . عضَّ يدَ الرجل فذهبت . . . (يتوسط الراوي الحشد، تظهر يمنى الرجل المقطوع اليد تداري بريقاً، وحين يحاذيه الراوي يدسّها في جيبه . . يندفع لرجل في نواحٍ قويّ، ويبتعد عن الحشد . . يخرج الراوي من جيبه وسط الحضور قطعة نقدية يرفعها لهم) .

الراوي: ذهبية وعملاقة ، مما صكّ الحاجب الأكبر وعَلَّقَ في نصب بالميدان الأكبر للزاي . . شارة رخاء ، واختلس الشارة الرجل . .

متفرج: سارقٌ قُطعت يده؟!

الراوي: لا . . لم تقطع بأمر الحاجب الأكبر . . إنه الزبزب: ذاك المجهول الذي هبط الزاي قبلي . . علمتُ هذا بعد طول تقصٍّ ، فقد انتحيت بأحدهم ، وكان يتعجّل اللجوء لمأمن . . (يمسك برجل من الحضور) سألته فما كان لشفتيه أن تنفرجا . .

صوت: (من مكان سحيق يصرخ) الزب زب . . الزبزب . . يا هابط الزاي في آن الرعب . . إنه الزبزب حيوان لا كالحيوان . . وإنسان لا كالإنسان . . هو الشيء اللاشيء ، غذاؤه الطفل منّا قبل بلوغ الحلم . . افترس صغار الزاي وها هو يجرؤ على كبارها . .

الرجل: (يصرخ به على حين غرة) دارِ يدك!!

الصوت: (يكرر) دارِ يدك . . (ينفلت الرجل من الراوي مخفياً أطرافه في جيوبه) .

الراوي: (يتجول داساً أطرافه في ثيابه هو أيضاً) وكان حرس الحاجب الأكبر على كل الأسطح والطرق . . (يملأ الحرس بالطسوت الأرجاء . . تظهر صورة قرشت على الأستار تضرب بالرمل) وكانت قرشت ـ الحيكمة عين الحرس ، ووصيفة أنهار الكنوز ـ على سطح ناءٍ لأصحاب الحاجب الأكبر تضرب بالرمل والودع فتخرج بالأبلق . .

قرشت: (يأتي صوتها من خلف الأستار) كالسنور أبلق بسواد ، قصير اليدين والرجلين . .

الراوي: ثم وقد ضجّ العامة بالخوف ، حتى ما كان رجلٌ ليغادر مخبأه للخدمة ، أُحضرت قرشت ، وفي ساحة عامة أعلنت ما أضمرت . . (تظهر قرشت في الأستار بين جواري الحاجب الأكبر، على شرفة عظيمة ، وبالأسفل اجتمع الزائيون يحيط بهم الحرس) وكان العامة في أمنٍ من الزبزب تحت حماية حرس الحاجب الأكبر (يظهر الحرس حتى حول الحضور . . . تتضخم صورة وجه قرشت على الأستار ، تقرأ) :

قرشت: أبلق . . (لا تستقر عيناها) بسواد . . قصير اليدين والرجلين . . .

الراوي: وبدقة كاهنة خبيثة كانت ترسل بصرها في الرمل وتصفه لهم ، ووصفته للحرس والعامة ، حتى تربّصوا بي على كل منفذ . . (يندفع الحرس في تفحّص أطراف الحضور وأجسادهم) فقد مسّت الحاجة للقبض على أبلق ما . . فكان أن أُخذت أنا القادم ـ أجرُّ مهابتي وانتصاراتي ـ من بلاد النهر القديم . هناك على نهري كان ـ ومن رجفة قدمي على الأجراس ـ أن وُلدتْ مدينة . . (يضعف صوته) ثم وقد شختُ انتخب لي شعبي ما بين النهرين نعيماً أرضياً ، أستريح إليه في

استضافة موتي . . (يصرخ بالحرس الذين أطبقوا عليه (أنا أبلق مبعوث . . (لا يصغي إليه أحد . . يتابع الحرس حمل صورته في الأستار) وكان الحاجب الأكبر بهامته الصقيلة ـ من شعر أسود، صُبغ بحديدة وحنّاء سوداء تميل للخضرة، وبأطرافه القصيرة ـ ينام بين جواريه قريراً . . (يعتم المكان، يظهر الحرس في الصورة يلجون بالراوي المعصوب العينين أسوار جنان لا يحدّها بصر . . ثم يُمكّن من النظر . . فيقع على ولدان يطوف بهم رجال ملتحون) ولدانٌ في كل مكان على امتداد البصر . . وكان المربّون ينتشرون بيننا كالطواويس، أما وجوه الولدان فاستوقفتني تنخسف، تميل للون الرصاص، نفس هذا الخسوف (يتأمل الراوي وجه أحد الحضور ثم يسأله فجأة) في أي القصور أنا؟! (ثم للجمهور) لكنه ما كان بقصر . . كان حديقة .

المربّي: (يهمس أحد المربّين في الصورة بأذن الراوي) الطاعة يا بنيّ . . مطالَبٌ أنت يا صغير بالطاعة والتدرّب على رفقة المقرّبين . .

الراوي: (بنشوة) عرفت أنني، ولقصر قامتي، قد أُطلقتُ بظنّ كوني صبياً، وأنني قد أُدخلت سلك العجائب اللطيفة . . (يصرخ فجأة بقرشت التي يرتعد تمثالها) أيتها العرّافة، يا قرشت العين الماجدة، ما تقولين في غريب أبلق، أسود العنق، طليق، وأعين الحرس عنه في عماء؟! أأكون الزبزب أنضمُّ لحظائره حين يقيمُ الولدانَ لولائمه؟!

المربّي: الطاعة الطاعة يا صغير . .

الراوي: (تظهر على الأستار صور حكايته) . . فكانوا يضعوننا في الأردية القصيرة من حديد مغلق من الرأس لأخمص القدم، أياماً، أياماً كنّا نُترك في صناديقنا نحلم بالبطولة ـ كفرسان ـ ونصدأ . . في البدء كانت الأجساد النضرة تقاوم الحشر، ثم ما عادت نضرة ولا تتمدّد . . كم من دهر مضى علينا حتى غدونا جيشاً من الأقزام بحضرة عملاق وحيد؟! لا أذكر . . (يغالبه الإرهاق إذ يغصّ الأستار بصور الأقزام المحيطة بالحاجب) لكنه كان يقضي جلّ وقته ممتّعاً ناظريه بعجائبه اللطيفة . . (يجول بين الحضور) عجائب لطيفة، فما كان الرجل بهذه القامة القصيرة! لكن المربّين شرحوا خطورة أن يمعن الإنسيّ في التعملق . . .

المربّي: (يطوف بالولدان) إن إمعان البشري في التعملق، يهدّد جسده الضخم بالانسحاق والتبدّد بفعل الأرواح الأرضية الجاذبة . . لكم أن تتشذّبوا، وتتصاغروا، حتى لا يكاد الواحد منكم يستعدي روحاً ذات شأن . .

الراوي: وكنّا نتكاثر، حتى غدونا الأغلب . . والزاي نائمة على قبضي علناً . . أنا الذي كان جسدي متقلصاً بالفطرة، قضيتُ في أردية الحديد أعبُّ صَدئي متمرناً على تصديق قرشت . . (ينضم من الأستار لصوته، يردّد) لا بد وأنني الزبزب . . أنا الزبزب . . (يكرر) لذا . . . وما أن سُمح لنا بارتياد الأسواق ـ حتى خفيت هوياتنا حتى على آباء الرفاق من العمالقة والذين أصطفّوا للتعجّب منّا ـ عببْتُ هواء النهرين عبّاً، حتى استعرتُ (تتوهج صورة الراوي في الأستار) ثم خلوتُ إلى رفاقي، فما مسّني منهم ماسٌ إلاّ وأخذه صدئي . . (يهتاج الولدان، فيُصدر الواحد منهم صرخة مهولة) صرخة مهولة، يبصق بعدها الدم، ثم يقع صريعاً . . لقد رأوا أسرهم . . .

حارس: (تظهر صورته في الأستار يدخل على الحاجب الأكبر مذعوراً) قلوب عجائبك اللطيفة سيدي تتفطّر . . الصيحة طردت الزبزب، فمن للصيحة؟! (تُشاهد العجائب اللطيفة ومعها الراوي تُنقل لقصر بعيد) .

الراوي: أرادوا عزلنا ـ نحن الشداد ـ عن الوباء، ثم، ومرتوياً بالدم، وما أن حاذيتُ سطح قرشت حتى ميّزتني (تلحق أبصار قرشت في الأستار بالراوي، وتبدو عين التمثال كمن يتبع الراوي وسط الحضور) ولم يهدأ لنا بال حتى نالتني . . وهذه المرة وصفت للحاجب الأكبر وصفةً لها العجب . . (تظهر قرشت في بلاط الحاجب الأكبر) .

قرشت: أن يُنكح الحديد التراب .

الراوي: ولبّستْني كساءً من رمل . . ثم وصفت الاستشفاء بالرمل الساخن اتّقاءً للحمى . . فكانت تبسطني ـ في وقد الشمس ـ وتوردني مرضاها من خاصة الخاصة . . (يظهر الخاصّة عراة يمثلون بين يدي الراوي الذي يأمر بتوسيدهم

صناديق الرمل عراة) وقرّتْ عين الحاجب الأكبر بالصمت. أمّا أنا وقد أرتويت، والزاي ما عاد لها زبزبها، وعاجزاً عن طلاق امرأتي، التي رصدتني زوجاً، غادرتُ الزاي خلسةً.. وأجردَ سلكتُ طرق الصحراء، حتى شارفتُ على مهالكها، اتخذتُ لي كثيباً عظيماً، انبسطتُ فيه، وأسلمت الروح، ومع هبة ريح السموم الأولى كنت أرحل مبعثراً وحراً.. لأول مرة ـ وكما لم أك قط ـ كنت أرحل حراً.. وها أنا لا أطلب لرفاقي غير تأصيل حكايتي.. أريدكم أن تنظروني قائلين: هذا رجل.. وهذه حكايته.. ويستحق منّا الحفظ.. (للحضور) نحن إذ نخون أو نناضل، لا نفتقد الحَفَظَة، لكن، وإذ نفنى نتوقعكم، بشيء من حسرة وثناء، نتوقعكم أن....

التابع الأول: (ينهض مقاطعاً) مهلاً.. لا تتعجلوا حتى تسمعوا حقيقة جندي الزاي الأمثل.. (متقافزاً بين الحضور، بتفاحة آدم على عنقه بشكل زيتونة خضراء)

الراوي: (موبخاً) ما الذي تقوله؟! ألا ترى: هم في سبيل توقيع الصك الذي سعى له ثلاثتنا..

التابع الأول: (للحضور) أنظروا إليَّ وستميّزون جندي الزاي، بجسد من درع، والدرع من النحاس الخالص.. أنا الطلسم..

الراوي: (بقهر) لكنك تابعي.. رعيتَ معي الحكاية حتى سقناها لجمهورها.. مالك تنقلب عليها؟!

التابع الأول: سمِّها الخيانة.. لكن لتعلم أني ما رافقتُ إلا حكايتي أنا.. وإن كنتُ ـ على طول الرفقة ـ كتمتُ الحقيقة فلخوفي عليها، دسُّ عاشق مثلك قد ينتهكها.

الراوي: لكنه تابعي (غير مصدّق للحضور وتابعه الثاني) تابعٌ غوي.. (بحسرة) هاكم تابعي.. (يكرر) إنها الخيانة!!

التابع الأول: (يعرض للحضور جسده المصبوب من نحاس أحمر، وتفوح رائحته النتنة.. بالزيتونة تعلو حنجرته معطيةً لذهب وجهه خضرة مختنق) ما نحاسي إلاّ رصدُ تلك العين للحكيمة قرشت.. (تتقد عينا التمثال قرشت) أنا كنت من الزاي يوم هبطها خوف الزبزب.. لكنه ما كان المنقذ..

(تتقافز قرشت حول التابع الأول في الأستار بثيابها السوداء البهية ووجهها المتقد) ها طالبة ودّي.. مذ كنتُ مصبوباً على فرعٍ ـ عصيةً عليَّ الحركة ـ حتى الآن لا تزال وفي كل حين تعاودني عارضةً عليَّ زواجها..

الراوي: (محتداً) كيف لامرأة أن تتخذ من الرجال عدداً؟! هلاّ استحييتَ فليس بمصدّقكَ رجل منهم..

التابع الأول: (يكمل) قرشت.. أيتها المتخذة قفزات الزرزور إلى قلبي، لو كان لك قلب أنثى لتفطّر بما حمل لي من بغض.. ما أوان نضوب غضبك؟! (لا تكف تحوم في الأستار حوله حيث يجمد على قدميه كتمثال) ما زلتُ مقيماً على الرفض يا امرأة من لهب.. فليس لطير مثلي أن يخذل بني جنسه.. (يتحدث إلى الجمهور بصوت أقرب للصفير) ألا وأنّى مُسخت في صورة أنسي مغادراً ريشي النحاسي بغضاً.. هي امرأة مسخّرة للبغض إذ رفضتُ ودها..

الراوي: (ساخراً للحضور) وها أنتم ترونه يحيد عن الزبزب، وما ناقضني إلا ليروي لكم رغائب امرأة فيه، وما يبطنه لها من شهوة..

التابع الأول: سنة أربع وثلثمائة كان للزاي أن تخضع لسقّاء بسيط اعتلى الرقاب بالعصي التي اعتاد بها موازنة صفيحتيه.. بدأ بأن جاء أسوار الزاي مقتعداً بوابتها، مميّاً الرائح والغادي بعين تتواري في تربتهم، لتخرج على يديه ويجدوا في مائها معتق اللذة..

السقّاء: (بثيابه المبتلة وصفائحه ينادي) عين الفردوس، تنظر فيها فتشفّ لكَ عن خضرتها..

التابع الأول: ثم إنه حفر للزاي عيناً، داسّاً في جوف العين خصلةً خضراء من جدائل قرشت ـ عُرفت بنبع الخرْوع ـ متشابكة الأغصان، فما أن يُطل عليها ناظرٌ حتى تُبدي له خضرتها، فتمثل له أنثى ملتفة الأغصان توقع في نفسه سحراً، وإذ يغادرها محموماً لا بد يعود إليها.. (يظهر على الأستار الماء، أخضر اللون، ويتشمل أناثاً من خضرة تلتف وتتلوى) على أن السقّاء أضمر الحقيقة التي رصدها في

الزاي، فما أن ينزح أحدهم من عين الفردوس دلواً حتى يسقط ـ في الدور ـ من الأرحام جنيناً . . وكان السقّاء يسوس العامة على العين مطمئناً لقبور الأجنة تتكاثر أبراج حمام صغيرة حول دور المدينة . . وكان هدف السقّاء : الزّائيون، مؤملاً خضوعهم قلةً . . وقد وعد قومه ـ من القبائل الهمجية ـ تسفيه معرفة الزاي التي أرّقتهم . . أما ما لا يعرفه قومه فهو ما أبطنه من الخوف من آتي الزاي، معتمداً على قراءات في الكتب المجوسية، التي ذكرت: مدينة في شرق البلاد تفيض نساؤها ملوكاً . . (أهل الزاي بثيابهم الغريبة يظهرون على الأستار في ابتهاجهم) والزاي في غفلة بابتهاجها بالماء الفردوسي . . فابتكر الزائيون السيرَ إليها بفاخر الثياب: يتمنطق الشبّان بأسلحتهم المرصّعة، وترن حلي الفتيات بطول طريقها لقاع قاع العين، لتستقر بقلوب الفتيان نشوةً . . غدوهم ورواحهم عيد . . وحدّثوا أن: ما من شاب عاد منها إلاّ عاشقاً، فكان العشق يتلبس قاصدها قبل أن تقع عيناه عليها أو يبترد بمائها . . أما الكهول فكانت لهم بعثاً . . يختلج الواحد منهم حابساً في صفحة الماء اسم صبية، حتى إذا كان الغد اتخذها زوجة، (صور دماء وكائنات أقرب للفئران تنزلق بطول الأستار ونواح يصم الآذان) لتستقبلهم على الطريق الفجيعة: من نسوة شُقتْ أرحامهن شقاً، وأجنّة تفور على الوحل بصمت وتلفظ أنفاسها . .

استقرت العين في الزائيين، فكانت زلازل وفيضانات لكل دار على امتداد النهرين . . ثم إن الناس استفاقت لأن تظمأ . . وهُجرت العين . . فما كان من السقّاء المتصدّر على عرشه ـ من الزائيين المعتصمين في العطش ـ إلاّ أن طلب للزاي الرقية .

السقّاء: (يظهر على الأستار وسط حرسه) ذاك فعل الزبزب في مدينتي . . وأمرت بصلبه على أكبر جسورها . .

قرشت: (على الأستار تظهر) ليس لخدمة سيدي أنجع من قرشت . .

السقّاء: (بغضب) لا يشفيني غير حبسهم أذلةً في طاعتي . . احبسيهم في الماء وليكن قبرهم، ولكِ منّا القربى . .

قرشت: (تفرش حصيرتها باسطةً رملها وتقرأ) يُستحضر من فرعٍ شاهق لشجرةمعمّرة، في كهوف الزاي، المنصوبة على شوكة النهرين (تظهر المغاور والشجرة العملاقة بزرزور نحاسي يتعلق على غصن بعيد لا يكاد يبين لولا توقد حمرته في العتم كدرّة) .

التابع الأول: وكنتُ لاجئاً على الفرع المعمر، أتعاطى السحر، ومعرفةً لم أسبق إليها، مكبّاً على حشاش الأرض، مجتنباً اللحم ما ارتقيتُ . . وكنت أبحث للأرواح عن مجتمع . . حيث تناثرت أرواح الزائيّن القدماء ـ من ملكوا روح النار ـ في أجواف بني جنسي من ذوات الريش الأخضر (تظهر أسراب الزرزور كالإعصار بصفيرها الحاد) أنا دخلتُ الطقوس مضحياً خضرتي، عابراً الألسنة الحداد، منتهياً لجسدي النحاسي والأقدر على الصفير (يعتم المكان إلا من أغصان شجرة من نار والزرزور على فرعه يتقد كدرّة، وينطلق في صفير حاد) ثم طلبتُ تلك الأرواح، مخضِعها إذ اجتمعت في جوفي، بعد طول مكابدة وصبر . . (تهب ريح باردة) .

قرشت: (يفح صوتها المتردد بين الذكورة والأنوثة) يؤتى بالطائر النحاسي، يصفّر في أوانه، ومن فرع في جوف العين، فإذا الأرواح تهيج للنفخ، فتهيم خارجةً من نحاسها تصفّر بلوعتها، فتمر مرّ البرق آخذةً بالحناجر على مسيرة عام، حتى تفقس فيها، فيخرج من البيضة ظمأ كالجحيم مقبلاً على روحه المتمثل في عينك مولاي (صور الزائيين تركض منغمسةً في العين) فما جزاء قرشت تملّككَ ناصية الزاي وحكيمتها؟!

السقّاء: (يهتف بترفّع) نعيماً وملكاً كبيراً . . نعيماً وملكاً كبيراً . . (ينفخ في زرزور نحاسي فيصدر برق وصفير حاد) .

التابع الأول: حتى إذا نفخوا فيَّ جاء الزائيون فانكبّوا على الماء بوجوههم حتى الصدور، فشربوا شرب الهيم (أنفاس تلهث وتعبّ الماء بصوت مسموع) وأتوا على الأجنة إتيان الطاعون . . فاستحال اخدود الماء قبراً لأجنة بلا حصر، إذ حرص السقّاء على مدّ أذرع عينه للمدن المجاورة . . فكنتُ الثقب في مشيمة الأرض تنسرب روحها مني . . فكففتُ.

السقّاء: (ساخطاً في الأستار يطرق بعصاه الأرض) اجهزوا على صمته، مزقوه كل ممزقٍ حتى لا يكف عن الصفير.. اطرقوا.. للحرس والزائيون ألا يكفّوا عن طرق الطسوت والصواني حتى يفقد صوابه فلا يعود يصمت من ألمه.. أوجعوه.. (طرق شديد على الطسوت والأواني يصم آذان الحضور).

التابع الأول: وأنا معتصم لا أحيد، حتى شارفتُ على الهلاك ضجيجاً.. ولم أبرح.. (على الأستار تظهر قرشت محمولة على الأعناق في هودج من حرير، فما أن تمسّ الأرض حتى تنطلق تتقافز حول التابع الأول..).

قرشت: (بالشرر المتطاير من عينيها) إليَّ بالرماد، غمدُ رمادٍ ويُغمد.. يا نار كوني برداً.. برداً.. (دون أن تحيد ببصرها عنه).

التابع الأول: (مرتعداً إذ يرقب ما يجري على الأستار) وطفقتْ تهددني بعينيها كدرّتين..

قرشت: (للتابع الأول) ما مطلبي سواكَ.. (يشيح عنها فتأمر الحرس فيُغرس في حوض الرماد) ابشروا.. للشهود أن تشهد نار الشر المتقدة حوله تبرد.. يا نار كوني برداً، كوني برداً.. (تمسك قرشت برأس التابع تشده بعنف، وتهمس في أذنه).

التابع الأول: (مشيحاً) ثم إنها همستْ ـ وأنتم شهود ـ بأذني مرغّبةً الاستسلام ثم الانقطاع إليها وعلومي، ووعدتْ تستخلصني.. أو أُمسخ بشراً..

قرشت: (غاضبة تهيّج الحرس لضربه والسقّاء).. ويؤخذ بجريرة ما يلفظ من أرواحٍ استقرت خفيةً عن الحرس في جوفه..

التابع الأول: (من مقعد الرواية يصرخ بقرشت الصورة) ما زلتُ مقيماً على الرفض. (على الأستار تغادر قرشت في هودجها غاضبة).

قرشت: (يأتي صوتها هادئاً) مولاي السقّاء إنه داء العين (يدخل الحرس في الأستار بأوعية الماء، طالبين من الجميع الاغتسال في الطسوت).

الحرس: تنصّ الأوامر على عدم إهراق قطرة، اغتسلوا واغسلوا واجمعوا ماءكم.

التابع الأول: أمرتْ فغُسلت مغابن المدينة.. (في الأستار وعلى حين غرة يصب الحرس الماء على مؤخر رأس التابع الأول الذي يفزع) فما بقي نتنٌ في المدينة إلاّ وصُبَّ على غفلة هذا الرأس.. ثم أشارت قرشت بأن أُنكَحَ شيطاني.. فما تأخر الأمر بإتمام النكاح.. (ضرب على الدفوف، جماعات ترقص في الأستار، لتقع في نوبات تشنج، وتدخل في غيبوبة) وأُلبستُ جلداً خشناً لم يُدبغ (يجردونه من ثيابه في الأستار ويلقون عليه جلد خروف لم يدبغ) يقطر نتناً، فالتنن... هو الأقدر على اجتلاب وتهييج محبة الشيطانة.. ثم تلبستْ قرشت بشرورها وتمثّلت للشهود امرأةً من ريح.. (تهب ريح شديدة) فألقوا بي إليها (يقع التابع الأول في نتنه على أربع) وقرأوا علينا من كتاب قرشت ما هو كفيل برصد تلك الروح الشريرة بأمري، فأفنيها.. (ينحطّ على مقعده منهكاً) ثم إنه توجّب على علمي مفارقتي، فكان أن غادرتْني أرواح القدماء لتقيم في الماء، بانتظار خُضر بني جنسي تلتقطها.. وما قُدِّر للزاي بعدها أن تكون، فانقرضت، وما ظل سواي، نحاسياً، والسقّاء في فناءِ الزاي، وقرشت.. وها أنا أقف بهم لجلسة الحكم هذه...

التابع الثاني: (مقاطعاً) ما الزاي سوى مدينة ماء..

الراوي: (ينهض من مجلسه محتداً) ما أردتَ بقولك هذا؟!

التابع الثاني: لكم أن تجتمعوا على ادّعاء الزاي أو تفسير الزبزب، لكني وحدي أعرف كيف انقرضت...

الراوي: لتكن انقرضتْ.. لكن، ما ظني بك تدّعيها أنت أيضاً!!

التابع الأول: (بحسم) ما بعد حقيقتي حقيقة..

التابع الثاني: (بأسى) كنتُ قد التزمتُ الكتمان، حافظاً انكسار مدينتي ببني جنسي أن يشيع.. غير أني ما كنت لأرتضي تزييف حقيقتها بائدةً..

الراوي: (ساخراً) وتريد للحضور حفظك بطلاً؟! (منحطّاً باعياء) لقد جُنَّا.. هو عشقُ الزبزب، ولفرط رفقتهما لي على روايته، فرَّخ فيهما.. ألّبهما على خيانتي.

التابع الأول: (للثاني) اسمع . . أنت لن تسفّه حقيقتي الآن . .

التابع الثاني: (للحضور) ما كانت الزاي سوى مدينة مائية . .

التابع الأول: (مقاطعاً بغضب) هذا . . هو على الأخص أنصتَ لحكايتي طويلاً، كاشفتهُ بها مبكراً، وما كان لينبس بحرفٍ يناقضها . . على طول رفقتنا كان المُنصت والمتحدّث أنا . . وبنشوةٍ أنصت لي . . وما كان يملك حرفاً من عنده . . وأشك . . شككت كثيراً فيما إذا كان يجيد لغتنا نحن البشر . . ألا تفهمون . . كان أخرس . .

التابع الثاني: (بهدوء يؤمن على كلامه) هو ذاك . . أنا من الزاي، والتي انتشرت في بحرين عظيمين كاصبعين في كفّ عملاق . . وقط ما كنّا بالجنس القوي ولا بأصحاب معارف . . أقصى ما كنّاه أجساداً مرهفةً لأحرف الماء . . ما يُخطّ نقرأه . . فكنّا نلتقط دبيب الدودة إذ تدبّ على نبت رطب . . كنتُ حكيم جنسي وما كان لنا أن نوجِد كلمة .

الراوي: والآن تريد أن تختلق مدينة؟! يا للحظ الحسن!!

التابع الثاني: عرفنا الكون في طبقات خمس: أولاها نحن: نسبح بين ضياع كثير من سمكٍ لا يُميّزُ لنا العابر فيه مقاماً لضآلة أحجامنا. . يلينا الحوت عليّاً وقائماً بذاته . . ثم الماء الذهبي يحتملنا جميعاً ويجري لا يقف بطبقة، حتى راج أنه المتصرف في العوالم الخمسة، وأنه الوجود الحقيقي يطوينا متى شاء، فأضمرنا له المهابة . . ثم كسفٌ من كون ميت، تُعرف بالسفن، ثم أنتم على طبقات الموت: بشرٌ من أصوات وتلذّ لنا، فنغالب إليها الطبقات لنأتيها مسحورين . .

التابع الأول: لكأنما يلقي علينا سحراً . . أنا لن أنصت . .

التابع الثاني: حتى التقطنا اضطراباً، أشبه باضطرابات الحوت الجوفية . . فكان قرشت . .

إن من يدّعون «الزاي» يكيلون معها قرشت أنثى . . أنثى وتُتخذ زوجة!! وليس لقرشت أن تكون الأنثى . . حدّقوا فيها (تظهر على الأستار العوالم المائية ومكونات قاع البحر) هي كما عرفناها: أشبه بركامٍ بحري: بين الأسماك ثنائية الجنس وبين الطحلب والنبات المتكاثر بذاته، بين البشر وبين الماء . . ليست لها حقيقة ثابتة . . . وليس لقرشت ضرب الرمل، فكما مخلوقات الماء، ما أن تمسّ الماء حتى يُقرئها دواخله . . فللماء سطورٌ توارثناها، ووُجِدْنا لديها . . قرأتْ قرشت أول ما قرأت وأفزعها أن لنا ـ نحن المستضعفين ـ على الحوت سلطاناً مضمراً في دواخلنا، يحفّزه الإلف البشري، ثم إن للحلف سلطاناً على الماء، وللماء سلطان على العوالم الخمسة، فقرّ في عزمها الخروج بالسلطان .

قرشت: (كسفٌ من أسود تحيط برجل ذي فك حوت يشغل نصف وجهه) مولاي الآمر على ما حمل الماء وحطّ . . ما تقول فيمن يضع على هامتك تاج المخلوقات من ذهب؟!

التابع الثاني: ولا يغيبن عنكم كون النهرين من «ذهب» . . فكنا نسري في حرّه حتى إذا حلّ برده تجمّد، فأقمنا حلياً من سبيكةٍ ضخمة . .

قرشت: (في الأستار للحوت) أُطعَمُ لحمَ زامورٍ صغير، فأستردُ بصيرتي، فأرى لمولاي ـ إن أَذِنَ ـ طريقاً للتاج . .

التابع الثاني: نصبوا، فوقعتُ في شبكتها . . أمّا ما كان من أمر بحّارتها، فإن قائمهم إذ عَلِمَ بُغيتهم، ومأخوذاً بانتشائي لصوته، سكن في ضميره أن يطلقني: وقد جرى العرف أن تهوي أفئدةٌ منهم إلينا . .

فما زالوا بي حتى أطلقوني خلسة، كمن اطّلع على غيب ما سيأتي بيننا .

قرشت: (في الأستار غاضبةً تخوض في البحر حتى العنق) إن هي إلاّ فسحة من وقت فانتهزها . . مآلكَ لمشيئتي . .

التابع الثاني: وحين أقامت تستعدي حقدها في الماء دخلنا برهة برد . . وطالت وطالت . . فما عاد يهوي إلينا صوت أو مخلوق، وانحبسنا في ضآلتنا . . على أن قرشت كانت قد خلّفتْ على وجهي بالنار علامتها: هذا القمر النصفي رسمُ مخلبها . . حتى إذا انفردتُ بوشمي ـ محجوزاً مع قومي في البرد ـ استنطقتُه، فخرج خلق كثير، وبأصوات قبيحة، وشرور تغلي لها طبقتنا من الكون فتعجّل بإسرائنا . . (تضطرب الأرض التي عليها الحضور والتي في الصور) ثم إن الحوت جنّ لطول التأجيل في أعمال ذيله وعظام رأسه في العالم الرابع من سفن، مهددها

بالغرق . . فإذا العالم الخامس من بشرٍ في فزع، فشاب في أصواتهم الصراخ حتى استشرى فيها، جاعلاً منها أقرب لقرقعة الطسوت والصواني . . (ضوضاء واضطراب) وغدوا قاب قوسين من السقوط إلينا كسفاً من لحمٍ نتن . .

إلاّ أننا ـ وعلى ضآلة شأننا ـ قررنا أن يكون لنا أمر . . وهذه موجتنا وقد ميّزناها . . وانقاذاً لاتساق العوالم، اقترعنا لمنازلة الحوت، وقرشت قائمة ترقب، فأوعزتْ للقرعة تخرج في طلبي . . فقصدتُ الحوت، وما كنتُ ـ أنا الأليف ـ بمطيق منازلته، إذ بدا لي ـ وأنا بحضرته ضئيل ـ عظيماً مصمتاً . . وكانت قرشت تطفو في حراسة السفن من الحوت، والحوت من السفن، متلذذةً بخلط العوالم واستعدائها، مضمرةً طبقاتٍ للكون تستحدثها تكون منها الطبقة الأعلى . .

الحوت: (في الأستار بأتباعه يصرخ) مهلاً . . مهلاً . . لن نختلف على أن قرشت أخلصتْ لي الولاء . . لا يفضحن لي أحدكم من قرشت سوء فلذهبُ برأسه .

التابع الثاني: أنا حكيم قومي، وفي مواجهة الحوت، ما اسعفتني منّا معرفة تنصرني . . أنا في مواجهة الحوت فُتحتْ لي كتب الماء ـ المؤرخة لبني جنسي ـ فحتّمت جميعها فنائي . . ثم أني طويت الكتبَ، فقادتني لأدخل اذن الحوت الأعظم، وهناك، وحيداً أجرد كدود بحري، استنطقتُ وشمي، فخرجت كائنات القباحة، تحفُّ بي، فما زلتُ بها أُنشدها ما حفظته من المحاربين، وشيوخ فصيلتي في لقيا البحر وأعاصيره . . (زمرٌ وأصوات تشنجات بشرية) أنشدنا أبشع ما للبشر من حكايا . . أنشدنا تاريخاً طويلاً حين بدأ الحوت يترنح . . وعرفتُ من تهليل السفن أن الحوت متخذٌ طريقه لجحيم البشر . . فكان يضرب برأسه يميناً ويساراً وأصواتنا تزداد حشرجة ونشازاً، حتى هلك . . وأقمت ـ لفرط ما زمرت ـ متخشباً حيثما همد بي لا أغادر .

ثم أن قرشت ما زالت بقومي ـ بعد زوالي ـ حتى أغرتهم بأجساد أكثر ظهوراً .

قرشت: (يأتي صوتها في الماء) عجزَ عنه الجسد فنهض به الصوت . . .

التابع الثاني: حتى إذا كان المدّ تشبثوا بالعالم من رمل منجرفٍ، ووُجدْت أجسادهم تطفو منتفخة مع البشر، ولم تلبث أن عُدَّتْ «الزاي» الممسوخة من مدن البشر . .

قرشت: (يأتي صوتها إذ تواجهه في الأستار) ما أظن منهم منصتاً لما أوردتَ!

التابع الثاني: وهذا ما أرّق قرشت: أن يكون من الموجودات منصتٌ وناطق . . ولقد اصطنعتْ من بني جنسي أصواتاً ضجاجة . . قايضتهم حناجر بأجسادهم المرهفة للقول . . غير أني ـ وأسيراً لجثة الحوت ـ داومتُ على إنصاتي، وإن كنت لا أجد كثير لذة فيما أوتيته، فلقد أتمتْ قرشت خلط الكائنات، وشابَ الممسوخون ـ في صورة البشر ـ تلك الأصوات الحقيقية للبشر الحقيقيين . (للحضور) تحدّثوا . . ما عاد أكثر ما يُقال بشرياً . .

الراوي: يريد القول إنه الزبزب . . أو أنتم . .

التابع الثاني: أوردتُ أكثر ما أوردتُ القولَ، ولم أورد صوراً فما كان لعين أن تحبس عوالم الماء التي كانت، وما كانت لعين منكم أن تعيها وإن كُحِّلتْ بها . . . أنا لا أطلب شهادتكم بأن هذا رجل وهذه حكايته . . أريدكم أن تقروا بأنه: كان هناك عالم ماء، وكانت «الزاي» مغمورة فيه، ثم نهضتْ لأمرٍ، فكان لها .

الراوي: استمعوا وانصتوا . . أنا معكم مقدرٌ لما يحدث منّا . . ولست بلائمٍ تابعاً في عشق حكايتي . . لكنها بالنهاية حكايتي أنا، وما هما إلا تابعان .

قرشت: (يتحرّك تمثالها) وأنا . . . ؟! وهذا الثالث لا يدّعيني امرأة . . تنصّله لا يعفيه أن أرغبه . . قال: «أنا الكائن من خليط الأنواع والأجناس» وقد أُثبتُ حكايته من دون الحكايا لتشهدوه يتهالك لاتخاذي امرأة . . .

التابع الثاني: أرأيتم . . كم أُجهد سمعي، وما عاد أكثر ما يقال بشرياً!

قرشت: (للحضور) ستطالبون بأن أُلحَقَ به ما أن تُقرُّ حكايتُه، فأنا والزاي تركةٌ واحدة لا قسمة فيها . . وكما شهدتم: على ما أنكر ثلاثتهم ما أنكر أحدهم حقيقتي للزاي . . .

الراوي: ثلاثةٌ نحن، جمعنَا من أقطار الدهر وجود الزاي، استولده كلٌ منّا خفيةً عن الآخر، فكان له المدينة والحرب والنصر والرعب . . هاكم تابعيَّ: تظاهرا بخدمتي والزبزب، حتى أسفرا عن أطماعهما أمامكم . . فما جزاء الخائن؟ أشدّ العذاب . .

لكني أصفح، متنازلاً عن عذابهما، على أن يتركا خدمتي بعد موقفنا هذا . . .

مفترج (١): (يقف) هذه الزاي أعرفها . . ولا أفهم لِمَ توغلون بها في القدم وتدّعون بها بطولة؟!

الراوي: (صارخاً) ايّاكم! ما أنتم غير حضور للتأمين على حكايتي . . أما تجريدي ونهشها فهذه بربرية لا يقبلها موقف الشهادة . . (محدّثاً نفسه كالمختلّ) ليس لأحدٍ ادّعاء الزبزب أو الزاي . . هي مدينة قديمة، قديمةٌ قِدمي . . لم يبق من آثارها سوى ذكري وزوجي قرشت . . . قرشت (يصرخ بها) لعوبٌ طروب وما زلتِ بالعوالم تنقضينها لمتعتكِ!

قرشت: (ساخرة) من يطلب ودّي فأنصره . . (طائفة بالتابع الثاني)

التابع الثاني: (بذهول) ما هي بالأنثى . .

متفرج (٢): يالتدليس المؤرخين، كيف اصطنعوا من الزبزب مأساة!!

الراوي: (موبّخاً) وما تعلم عن تاريخٍ ما أطاقته الكتب؟!

متفرج (٣): إن أحداً لن يدلّس حاضري . . الزبزب هنا . . انهضْ (يساعد رفيقه الأمرد على النهوض) انظروا وجهه لا يعرف الحزن، ما اقبلتُ عليه، واستدبرته، حتى زبَّ عنّي كل كدر . . حدّثهم وسيميزون روحك المرحة . .

التابع الثاني: (لقرشت التي تطوف به مغريةً) ما أطال التحديق بها كائن إلاّ أورثته حزناً . .

الراوي: (يكرر) نحسٌ محض . . نحس محض . .

قرشت: (للحضور) من يدّعي الزاي والزبزب فأخرج في التركة له؟! (ثم للراوي) لا أكفّ حتى أجمع منكم عشرة، يدورون في فلكي، فأنتقي في كل سبت منكم طائفاً أضحيّة فأبكيه . . (تضحك . . ينفجر الأمرد رفيق المتفرج (٣) ضاحكاً . . تتجه إليه جميع الأنظار في حين لا يفارق نظر التابع الثاني وجه قرشت) لتظلّ أنتَ المملوك العصي، لتدور على أدبارك مخالفاً طبائعكم كذكور . . انتكس، فما لعصيانك أن يُخرجك عن فلكي، لتظل المملوك الأعجز عن الفكاك . . أتريد اثبات كوني لست بأنثى؟ (تشارك المتفرج (٣) ورفيقه الضحك) أيها الخنزير الأقبح والأعز . . . (مداعبةً المتفرج (٣)) ألا تذكر لك مدينة اتخذتني فيها فتاك؟!

المتفرج (٣): (بلهفة) بلى . . بلى . .

(يضطرب الحضور ويظهر منهم من يدّعي الزاي . . تُنسى في الخلاف قرشت، فتجمع أردانها الطويلة وتنفلت في المدينة . . يجمع الحرس المختلفين).

الراوي: (يتوسط الحشد) للسلطة احترام الملكية . . وليس كالسلطة في إثباتها.

(يختفي الجميع زمناً، ليعود الراوي وحيداً ينادي) أنا الزاي والزاي أنا . . (يستوقف أحد المارة) فيمَ تجول؟! لِمَ لا تلزم لك بقعةً وتفنى فيها؟! أنت تجول بظن أنك مالكٌ لكل ما دبّت عليه قدمك، أو وقع عليه بصرك، أو اشترته نقودك . . لكن . . (يضحك) جرِّب أن تملك حكاية . . حكاية . . صفّ كلماتها: كلمة خلف كلمة . . صغيرة وحقيرة لتكن، ثم اجمعهم ليشهدوا لك بالملكية . . وستعرف . . (يضحك مبتعداً) ستعرف كم أنت فقير فقير . . حسنة للكريم حسنة . . (يشحذ رجلاً آخر) أتعرف قرشت؟! ربما لحقتْ بمن أنكرها . . وربما اختلسوها في الطريق للسلطة . . فنحن إذ بلغناها ما وجدتُ للزاي أثراً . . ولا لقرشت . . (يستوقف ماراً آخر) أما من أحد يؤاخذني بجريرتي؟ لقد بعتُ الزاي ابتداءً . . . وما أُوخِذتُ، ثم اشتريتُها في حفنة واحدة مع بطولةٍ اشتاقتها نفسي فما شُكِرتُ! وكأننا . . (يدور حول نفسه) وكأننا من عالم أموات: ما أعطى ولا منعَ . . . (يضحك ساقطاً).